

لمحات من أيام عمر

الحق الالهي في خلافة عمر بن عبد العزيز ..

كتب عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة الى يزيد بن المهلب .
أما بعد فان سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم
قبضه واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعدى ان كان ، وان
الذى ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس على بهين ولو كانت رغبتى
فى اتخاذ أزواج واعتقاد أموال كان فى الذى أعطانى من ذلك
ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما
ابتليت به حسابا شديدا ومسألة غليظة الا ما عافى الله ورحم
وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك (١)

تحرى الصلح قولاً وعملاً ..

كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الرحمن بن نعيم وكان
واليه على خراسان حتى مات عمر .. قال له : أما بعد فكن
عبدا ناصحا لله فى عباده ولا يأخذك فى الله لومة لائم فان الله
أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، فلا تولين شيئا من أمر
المسلمين الا المعروف بالنصيحة لهم ، والتوفير عليهم ، وأداء
الأمانة فيما استرعى ، وإياك أن يكون ميلك ميلا الى غير الحق

فإن الله لا يخفى عليه خافية ، ولا تذهب عن الله مذهبها فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه . . وقال له : أن العمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالاً . فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين . وقال له : لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجروا الشاة الى مذبحتها ولا تحدوا الشفرة على رأس الذبيحة ولا تجمعوا بين الصلاتين الا من عذر (١)

الحق أحق أن يتبع . .

كتب عمر الى الجراح وقت أن كان واليه على خراسان قال : يا ابن أم الجراح . . أنت أحرص على الفتنة ممن ذكرت لي أنهم قد ابطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا . . حتى أنك كرهت الاقدام على ضربهم بالسيف والسوط الا بأذن مني . . فأقول لك : لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً الا في حق ، واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (٢)

أركان السلطان . .

كتب عمر الى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاد الجراح فقال له : ان للسلطان أركاناً لا يثبت الا بها . . قالوا لي ركن .

(١) المسعودي

(٢) ابن الأثير

والقاضي ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا
.. وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الى ولا أعظم عندي من
ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم .. فان
يك كفافا لاعطيائهم فمسبيل ذلك .. وألا فاكتب الى حتى
أحمل اليك الاموال فتوفر لهم اعطيائهم ، فلما وجد عقبة خراج
خراسان يفضل أعطيائ أهلها كتب الى عمر بن عبد العزيز
يخبره بذلك .. فرد عليه عمر طالبا منه أن يقسم الفضل
في أهل الحاجة (١) .

دستور عمر ..

كتب عمر بن عبد العزيز الى واليه على الكوفة وكان يدعى
عبد الحميد قال : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الحميد
.. سلام عليك ، أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء
وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة استنتها عليهم عمال
السوء وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكونن شيء أهم
اليك من نفسك ، فانه لا قليل من الآثم . ولا تحمل خرابا على
عامر ، ولا عامرا على خراب .. انظر اُخراب فخذ منه ما أطاق
وأصلحه في الخراج الا وزن سبعة ليس لها آيين ، ولا أجور
القرايين ولا هدية النيروز والمهرجان ، ولا ثمن الصحف ولا
أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من دوني
بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه ، وانظر من أراد من الذرية
أن يحج فعجل له مائة يحج بها والسلام . (٢)

(١) الطبري

(٢) المصدر نفسه

ما يجب وما لا يجب

حدث ابن عبد العزيز أهل خناصرة فقال : أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولن تشركوا سدى ، وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم . وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرّم الجنة التي عرضها السموات والأرض . الا وأعلموا انما الأمان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا بباقي وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ، الا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقيون كذلك حتى ترد الى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتغيبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسدين ولا ممهدين ، قد فارق الأُحبة وخلع الأسباب فسمكن الشراب وواجه الحساب فهو مرتتهن بعمله ، فقير الى ما قدم ، غنى عما ترك . . فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواعقه ، وأيم الله انى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى فأستغفر الله وأتوب اليه ، وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة الا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه وما منكم من أحد يسعه ما عندنا الا وددت أنه سبأوانى ولحمتى حتى يكون عيشنا وعيشه سواء . . وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولا عالما بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة يدل فيها على طاعته وينهى عن معصيته . . ثم رفع طرف رداثه فبكى حتى شفق

وأبكى الناس حوله . . ثم نزل فكانت آياتها . . لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله . (١)

حق مقتدره به !

ومات لعمر ولد فكتب له عامل من عماله يعزيه فقال عمر لكتابه : أجبه عنى وأوجز للحروف واكتب بسم الله الرحمن الرحيم . . أما بعد فإن هذا الأمر أمر قد كنا وطننا أنفسنا عليه فلما نزل لم نذكره والسلام . (٢)

أبو حفص يقول :

من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلاته ، وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فانها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها . . الرزق مقسوم فلن يقدر المؤمن ما قسم له ، فاجملوا في الطلب فان في القنوع سعة وبلغه وكفا . . أن أجل الدنيا في أعناقكم وجهنم أمامكم . . وما ترون ذاهب وما مضى فكان لم يكن . . وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق وبعد فراغه وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله وعايينتم تعجيل اخراجه وقسمة تراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسى وبابه مهجور كان لم

(١) الطبري

(٢) ابن الاثير

يخالط اخوان الحفافة ، ولم يعمر الديار ، فانتقوا هول يوم لا
تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين . .

٧ ١٧ ٧

وقال أيضا رحمه الله

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن
لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومعول
المؤمن الصبر وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه
مما انتزع منه الصبر الا كان ما أعاضه خيرا مما انتزع منه
ثم قرأ هذه الآية : (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب) . (١)

كفى بها موعظة . . . !

كتب ناصح الى عمر بن عبد العزيز فقال له : ان أردت أن
يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير . . فقال عمر :
كفى بها موعظة . . ولما أفضى اليه الأمر خطب الناس فقال :
أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فرووعها . . فما
بقاء فرع بعد أصله . . وانما الناس في هذه الدنيا أعراض
تتنصل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة
شرق وفي كل أكلة غصص ، لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى
ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله . .

أيها الناس : انه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا واني لست بقاض ولكني منفذ . . ألا واني لست بمبتدع ولكني متبع . . ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاص - ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . (١)

لكل حقوق لا يتعدها . .

كتب عمر الى ولاته جميعا نسخة واحدة يقول فيها اليهم : أما بعد فان الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله وشرفهم وأعزهم ، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم . وجعلهم خير أمة أخرجت للناس . . فلا تولون أمور المسلمين أحدا من أهل ذمتهم وخراجهم ، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فنذلهم بعد أن أعزهم الله ، ونهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى ، ونعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم . . ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم فان الله عز وجل يقول : لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ، ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض والسلام . (٢)

يا حليما لا يعجل على من عصاه . .

جنى عبد أسود على عمر بن عبد العزيز - وكان في عنفوان شبابه - جناية فظيمة وهم ليضربه فقال له العبد : يا مولاي

(١) المسعودي

(٢) ابن الاثير

لم تضربني ؟ قال له : لا نك جنيت كذا وكذا . . فقال العبد :
فهل لا جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك . . قال
عمر : نعم . . قال العبد : فهل عجل عليك العقوبة ؟ قال
عمر : اللهم لا . قال العبد : فلم تعجل علي ولم يعجل
عليك . . !! . . فقال له عمر : قم فأنت حر لوجه الله ! وكان
ذلك سبب توبته . وكان عمر يكثر هذا الكلام في دعائه
فيقول : يا حليما لا يعجل علي من عصاه . (١)

عمر و غلام . .

لما ولي عمر الخلافة وفدت عليه وفود العرب ومنهم وفد
الحجاز فاختر الوفاء غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام .
فلما ابتداء بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر : مهلا
يا غلام ليتكلم من هو أشد منك . . فقال الغلام : مهلا يا أمير
المؤمنين إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد
لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية . . يا أمير
المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الأمة من هو
أسن منك

قال عمر : تكلم يا غلام قال : نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود
التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي
من بك علينا . . فلم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة . . أما
الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا ، وأما الرهبة فقد أئمننا الله
بعدلك من جورك

فقال عمر : عظمنا يا غلام وأوجز . قال الغلام : نعم يا أمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عندهم وطول أملههم وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يضرناك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك . . فنظر عمر في سن الغلام فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله . يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالما . . وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده . . صغير اذا التفت عليه المحافل (١)

حفيد يحمل اسم الجد وفعله !

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم وسمى ذلك مظالم !! ففرع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأتته فقالت له : تكلم أنت يا أمير المؤمنين . . فقال : ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة - ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء . . ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولي عمر فعمل بعمليهما ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفضى الأمر الى وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت له عمته : حسبك قد أردت كلامك فأما اذا كانت مقاليد هذه فلا أذكر شيئا أبدا فرجعت اليهم فأخبرتهم

كلامه . . وقيل انها قالت لعمر : ان بنى أمية يحذرونك يوما من أيامهم فغضب وقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره !! . . فرجعت به عمته الى بنى أمية وقالت لهم : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا . . (١)

نعم الراعى عمر . .

تذكر فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه مرة وهو فى مصلاه ودموعه تجرى على خيته فقالت له : أجدت شىء ؟ قال لها : انى تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والغازى والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال ، والمسكين القليل ، وأشباههم فى أقطار الارض فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم الى الله فخشيت أن لا تثبت حجتى عند الخصومة فرحمت نفسى فبكيت (٢)

عمر فى زيارة للموتى . .

مر عمر بن عبد العزيز مع أصحاب له على القبور فقال لهم قفوا حتى آتى قبور الأُحبة فأسلم عليهم . . فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال لهم : ألا تسألونى

(١) ابن الأثير .

(٢) المصدر نفسه

ماذا قلت لهم وما قيل لي .. فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك ؟ قال : مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ، ودعوت فلم يجيبوا فبينما أنا كذلك اذ نوديت يا عمر : أتعرفني أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ، ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم .. ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ فوالله ما مضى بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم . (١)

عمر بن عبد العزيز في موته ..

قالت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز .. اشتد المرض على زوجي ليلة .. فسهر وسهرنا معه .. فلما أصبحنا أمرت له وصيفا يقال له مرثد فقلت له يا مرثد : كن عند أمير المؤمنين فان كانت له حاجة كنت قريبا منه .. ثم انطلقنا فضربنا برؤوسنا لطول سهرنا ، فلما أنتفخ النهار استيقظت فتوجهت اليه فوجدت مرثدا خارجا من البيت قد غط في نومه فأيقظته فقلت : يا مرثد ما أخرجك .. ؟ قال : هو أخرجني وقال لي : اخرج عني فوالله اني لأرى شيئا ما هو بالانس ولا بالجن فخرجت فسمعتة يتلو هذه الآية (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) .. قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه وأغمض عينيه وانه لميت رحمه الله . (٢)

(١) ابن الاثير .

(٢) المسعودي